الفنون القديمة من العصر الحجري القديم الى الالف الثالث ق – م

د. مريم عمران موسى

تسمية العصور الحجرية

ان تاريخ الانسان يمكن ان يقسم الى عصور قبل التاريخ وهي العصور التي لم يعرف فيها الانسان الكتابة أي العصور التي مرت في تاريخ الانسان قبل ان يهتدي الى معرفة الكتابة والعصور التاريخية وهي العصور او الفترة التي عرف فيها الانسان الكتابة وقد درج الباحثون في الآثار على تسمية الفترات القديمة من عصور ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية عندما كانت ابرز الالات والادوات التي يستخدمها الانسان في حياته اليومية من الحجر وقسمت هذه العصور الى أربعة عصور رئيسية :

1- العصر الحجري القديم Paleolithic

2- العصر الحجري الوسيط Mesolithic

3- العصر الحجري الحديث Newlithic

4- العصر الحجري المعدني Chalecolithic

العصر الحجري القديم :

لقد تم تقسيم هذا العصر الى ادوار ومراحل متميزة بعضها عن بعض اعتمادا على ما حصل من تطور في صنع الآلات والأدوات الحجرية التي كان يستعملها في حياته اليومية ويمكن حصرها في ثلاثة عصور رئيسية ولابد من الاشارة الى ان التسميات الخاصة بادواره المختلفة في اوربا لتكون اساسا لما يضاهيها من العصر الحجري القديم في العراق وقد حدثت في هذه الفترة تطورات كثيرة منها تطور الاساليب في صنع الادوات الحجرية بحيث امكن تقسيم هذا العصر الى ادوار كثيرة تبدأ من الاقدم

العصر الحجري القديم الأدنى ويقسم :

الابيفلي : اقدم ادوار العصر الحجري القديم سمي بهذا الاسم الى اسم موقع ابيفل في منطقة السوم في شمال فرنسا , وكانت الادوات الحجرية المستعملة في هذا الدور تصنع بأسلوب تشظية

الحجر بحجر او بضرب الحجر بحجر اخر واستعمال لب الحجرة بعد تشظيتها وهندمتها على شكل الفأس اليدوية وعرفت هذه الصناعة التي تقوم اساس الاستفادة من لب الحجر : صناعة اللب ", وقد تم الكشف عن نماذج من الات في شمال افريقيا في ليبيا وتونس .

الكلاكتوني :جاءت هذه التسمية نسبة الى موقع كلاكتون جنوب شرق انكلترا , واهم ما يميز الات هذا الدور ان معظمها مصنوع بطريقة التشظية , حيث ان الشظايا هي المستعملة , وقد عرفت من الات الكلاكتونية الات القاطعة والنصال التي هي شظايا ولكن مصنوعة بشكل منتظم ودقيق ولها صفة الاختصاص في العمل .

الاشولي :سمي نسبة الى موقع سنت اشول في فرنسا ادواته عبارة عن فؤوس حجرية حادة الجانبين وبالغالب تأخذ شكل القلب ولكنها اصبحت ادق صنعا واكثر انتظاما واهتماما من سابقاتها الابيفلية وجدت اثار هذا الدور في العراق في موقع بردة بلكا قرب جمجمال على طريق السليمانية , ومن الجدير بالاشارة ان الصناعتين الابيفلية والاشولية من نوع الصناعة التي سميت صناعة اللب وتمتاز غالبيتها بكونها من نوع الفؤوس اليدوية

اللفالوازي:سمي بهذا الاسم نسية الى موقع ليفا القريب من باريس وله صلة تطورية بالدور التالي , وتتميز الادوات اللفالوازية بشكل عام بكونها متنوعة وتتراوح بين الادوات الشظوية غير المصنعة وتلك التي تكون عبارة عن شظايا ذات رؤوس مثلثة والمقاشط اللفالوازية تتميز بتنوع ينسجم مع طبيعة الاستخدام

العصر الحجري القديم الاوسط: خصص لهذا العصر الدوران المسميان لفالوازي – مستيري اهم ما يميز صناعة هذا العصر بكلا دوريه نوع من الفؤوس اليدوية اشكالها على هيئة القلب مصنوعة من لب الحجر كما ان هناك ادوات اخرى تعود الى هذا العصر صنعت من الشظايا , وجدت ادوات هذا العصر بكثرة في العراق مثل كهف شانيدر .

ان اسلوب الصناعتين المميزتين لفترة العصر الحجري القديم الاوسط قد تكون امتداد لاساليب سابقة يمكن تتبعها في الصناعات التي عرفت اثناء العصر الحجري الادنى فاضافة الى الفؤوس كانت صناعة الشظايا

المستيري : نسبة الى موقع موستيه الواقع في مقاطعة الدوردون في فرنسا , ثم تعاقبت اكتشافات عديدة اخرى شبيهة لمثل هذه الادوات في مناطق متفرقة من اوربا وفي شمال افريقيا وغرب اسيا ,وتمثل صناعاتها مرحلة متطورة أي انها تمثل تطورا فنيا في صناعة الادوات

العصر الحجري القديم الاعلى : اطلق عليه مصطلح الدور البرادوستي نسبة الى جبال برادوست في شمال العراق كما وجدت اثار هذا الدور في كهف زرزي , هزار مرد , بالي كورا , كيوانيان كما يضاهي هذا العصر الدوران المسميان الدور القفصي والدور الوهراني في شمال افريقيا , واهم ما يميز صناعة هذا العصر تطور اساليب التشظية واتقانها وصنع الادوات التي تعرف " االنصال " وهي عبارة عن شظايا طويلة مستدقة ابرزها نوع من المقاشط والمزارف والازاميل التي تستعمل لاغراض الحفر والحز وفي اوربا سميت ادواره حسب تسلسلها الزمني علما ان هذا العصر ظهر فيه فن الرسم في جدران الكهوف

اورغينيشي نسبة الى موقع اورنياك في حوض الكارون في جنوب فرنسا تميز هذا الدور بمجموعة من الات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان تميزت بكونها دقيقة في الشكل والصناعة

سلوتري : سمي بهذا الاسم نسبة الى موقع سلوترة الذي اكتشفت فيه هذه الصناعة الجديدة في العصر الحجري القديم الاعلى وتمثلها صناعة حجرية دقيقة منها السكاكين الصوانية التي تتميز بدقة متناهية

مكدليني : وهي تسمية نسبة الى موقع ماكدالين في مقاطعة الدوردون في فرنسا وقد تميزت الالات هذا الدور مثل السكاكين والمزارف الدقيقة وتصنيع العظام والعاج وقرون الحيوانات .

علما ان بعض المختصين في عصور ما قبل التاريخ يخصصون دورا حجريا سبق العصر الحجري القديم بفترة زمنية لا يعلم مدى طولها , اطلقوا عليه اسم العصر الحجري الايوليثي ويعزون الادوات الحجرية الساذجة التي تنسب اليه الى انها احجار طبيعية او غير مصنوعة وان ما يظهر عليها من اثار الصناعة من فعل العوامل الطبيعية كما نسبت اليه طائفة من الادوات الحجرية تسمى الادوات الحصوية وقد وجدن هذه الادوات في اكثر من موضع واحد من بينها شمال افريقيا في ليبيا , الجزائر والمغرب .

ومن الجدير بالاشارة ان حضارة العصر الحجري القديم تمثلت في كهوف العراق وقد تضافرت العوامل الطبيعية على تكوين الكهوف والملاجىء الصخرية واستفاد الانسان من وجودها الطبيعي

بالالتجاء اليها لحماية نفسه من العدو ومن قسوة البيئة خلال هذه الفترة , فالكهف مسكن ومأوى طبيعي حيث لا توجد فيه جدران او أي شكل من اشكال المباني بل يرى فيه الباحث الاثري طبقات متعاقبة لانواع مختلفة من التربة يعثر فيها على جميع المواد التي استعملها سكان الكهف او دفنوها في اوقات مختلفة , وقد اظهرت التنقيبات التي قامت بها الهيئة العامة للاثار في شمال العراق مراحل مهمة من تاريخ الانسان في العصور الحجرية ومن بينها العصر الحجري القديم علما بان اثار هذا العصر وجدت في مناطق متفرقة من الشرق الادنى, وكل ما تبقى من عصور قبل التاريخ بعض ادوات من الحجر علما بان الانسان في هذا العصر كان يجمع قوته ولم ينتجه ولم يكن يعرف الزراعة ولا تدجين الحيوان وكان اعتماده على النباتات البرية والحشائش وعلى صيد الحيوان ولذلك فقد سمي بمرحلة جمع القوت , , ومن هذه الادوات الحجرية ما عثر عليها في الموقع المعروف بردة بلكا والذي هو عبارة عن مستوطن مكشوف يقع شمال شرق جمجمال . زرزي , هزار مرد , بالي كورا,كيوانيان

2- العصر الحجري الوسيط

يأتي هذا العصر بعد نهاية العصر الحجري القديم ويعد دورا انتقاليا ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث وجدث آثار هذا العصر في عدة مواقع في شمال العراق بعضها كهوف وملاجئ صخرية وأخرى على هيئة مستوطنات في الأرض المكشوفة ومن ابرز هذه المواقع كهف زرزي ولذلك أطلقت الباحثة " دوروثي كارود " على الصناعة الحجرية العائدة لهذا العصر والتي عثرت عليها نتيجة تنقيباتها في كهف زرزي اسم الصناعة الزرزية نسبة إلى الكهف كما أطلقت هذه التسمية على الصناعة الحجرية التي تعود إلى هذه الحقبة التي وجدت في شمال العراق . ومن اهم ما يميز هذا العصر من ناحية ادواته الحجرية دقة هذه الادوات وصغر حجمها عصر الادوات وانتظام شكلها ولذلك اطلق عليه عصر الادوات الدقيقة " مايكروليثية" .ومن ابرز المواقع الاثرية التي تعود الى هذا العصر زاوي جمي ومن ابرز الادوات الحجرية التي عثر عليها الرحى والهواوين والمدقات والفؤوس الحجرية والمناجل من نصال الصوان

جدير بالذكر ان العصر الحجري الوسيط اطلق عليه في سورية ولبنان وفلسطين اسم الدور النطوفي نسبة الى وادي النطوف في فلسطين عثر في هذه المواقع على ادوات صوانية

- مستوطنة زاوي جمي القريبة من كهف شانيدر بحوالي 4كم غرب الكهف
- مستوطنة كريم شهر وهو موقع مكشوف يقع شرق جمجمال
- ملفعات الواقعة على ضفة نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين اربيل والموصل
- كردي جاي يقع في منطقة الزاب الاعلى.

2 – العصر الحجري الحديث (في حدود الإلف التاسع إلى 5600 ق–م) :

شهد هذا العصر ظهور أولى القرى الزراعية حيث توفر المناخ الملائم والحيوانات والنباتات الصالحة للتدجين فبعد إن كان يعتمد في عيشه على جمع القوت بالصيد والالتقاط انتقل في هذا العصر الى طور جديد في الحياة فأصبح ينتج قوته بنفسه بالزراعة وتدجين الحيوانات وهذا هو التطور الاقتصادي الذي ظهرت طلائعه في شمال العراق في العصر الحجري الوسيط وأصبح سمة بارزة ومميزة للعصر الحجري الحديث ومن أقدم القرى الزراعية في العصر الحجري الحديث قرية جرمو التي تقع على بعد 35 كم شرق كركوك وقد اكتشفتها مديرية الآثار العامة ثم شرعت بالتنقيب فيها بعثة اثارية من جامعة شيكاغو برئاسة بريد وود من عام 1948 – 1955

وفي أسكي موصل كشفت بعثة جامعة وارشو البولونية خلال عملها في الأعوام من 1981–1986 ضمن الحملة الإنقاذية في حوض سد صدام عن بقايا قرية تعد من أقدم القرى الزراعية تعود في تاريخها بداية العصر الحجري الحديث إلى مرحلة ما قبل الفخار وهو موقع نمريك تقع بالقرب من قرية نمريك إلى الغرب من ناحية فايدة شمال غرب محافظة دهوك شمال العراق .